

"ببليوغرافيا المصنفات النقدية في المشرق والمغرب والأندلس"

أخذ النقد العربي في القرن الثالث الهجري ينزع إلى البحث والتأليف على أيدي ثلاثة من النقاد وعلماء الأدب الذين خاضوا في الموازنات و العديد من القضايا النقدية، كابن سلام والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم، ثم بدأت التصانيف(المؤلفات) تتواتي حتى القرن الثامن في المشرق والمغرب والأندلس.

ونسعى في هذه المحاضرة إلى تتبع بعض المصنفات النقدية المهمة التي ألّمت بأهم القضايا النقدية التي طرحتها الخطاب الناطق القديم عبر القرون المتواتلة، وسنحاول وضع ببليوغرافيا(علم وصف الكتب) لأهم هذه المصنفات.

أولاً: في القرن الثالث:

1- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمي (ت 232 هـ):

يعد هذا الكتاب أول محاولة جادة تمثلت في جمع شتات آراء سابقيه ومعاصريه في النقد العربي وتنظيمها تنظيمًا علميًّا، وكان بذلك واضع أول لبنة في النقد العربي⁽¹⁾، كما يعد أول كتاب في النقد وصلنا كاملاً، وقد قسمه صاحبه إلى قسمين: القسم الأول؛ المقدمة وتحتوي على قضايا نقدية مهمة، تكشف عن مفهوم الشعر في ذلك العصر وطبيعته، وقد الرواية الشفوية وتحقيق النصوص (الانتقال) وتاريخ لنشأة الشعر وعلوم العربية عند العرب. أما القسم الثاني من الكتاب فيحتوي على تصنيف الشعراء إلى طبقات، شعراء جاهليين ومختزمين وإسلاميين⁽²⁾، ثم أشار إلى طبقة شعراء المراثي، وطبقة شعراء القرى

¹ينظر: قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه و إعلامه المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان ط 1، 2003، ص 290.

²ينظر: عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص 229.

العربية، وطبقة شعراء يهود. لقد خطأ ابن سلام في طبقاته خطوة لامعة في النقد، ومهد الطريق للنقاد من بعده.

2- كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت 255 هـ)

يعد كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين من أواخر مؤلفات الجاحظ، فكتاب الحيوان من أعظم كتبه وأجلها شأنًا، فقد ضم إلى جانب التعريف بالحيوان وكل ما يتعلق به، موضوعات كثيرة تتصل بالفلسفة والعلوم الطبيعية والأدبية.

أما البيان والتبيين ففي جملته يتكلم عن البيان والبلاغة والخطابة العربية والشعر العربي، وقد وضعه الجاحظ في ثلاثة أجزاء.

خاض الجاحظ في العديد من الأفكار النقدية في ثانيا هذين الكتابين، أهمها ماهية الشعر وجوهره، ومصدر الشعر والسرقات الشعرية، وموضوعية النقد الأدبي، والشعر والطبع، وبناء لغة الشعر، وغيرها من القضايا.⁽³⁾

3- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276 هـ)

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب النقدية في القرن الثالث بعد طبقات ابن سلام، وأهم ما يميّزه هو منحاه في النقد، فقد احتوى كتابه على مقدمة نقدية جيدة تعد من بوادر النقد الأدبي، واقتصر على مشاهير الشعراء دون غيرهم، ويختلف عن طبقات ابن سلام كونه يترجم للشعراء مراعيا التسلسل الزمني.⁽⁴⁾

وما يهم في مقدمته النقدية هو التتويه إلى قضايا مهمة ذكر منها رأيه في اللفظ والمعنى، الحياد في الحكم على الشعر والشاعر دون التعصب للسبق الزمني أو للقدم والحداثة، الحديث عن بناء القصيدة وثقافة الناقد، الإشارة إلى الحالات النفسية وعلاقتها بالشعر، الطبع والتكلف، القديم والحديث...

³ينظر: عيسى علي العاكوب: التفكير النبوي عند العرب، مدخل إلى نظرية الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط 1، 1997، ص 137 وما بعدها.

⁴ينظر: عبد الطيف صوفي: مصادر الأدب في المكتبة العربية، دار الهدى، الجزائر، 1994، ص 38.

4- كتاب البديع لابن المعتز (ت 296 هـ)

يعد كتاب البديع "حسب النقاد" أول بحث منهجي في البلاغة والنقد والشعر⁽⁵⁾، وقد وضعه ابن المعتز سنة 274 هـ وهو يشمل على خمسة أبواب تمثل فنون البديع الأساسية. كما يعد أول كتاب في تاريخ علوم النقد والبلاغة، يتناول الأدب تناولاً فنياً... إذ نراه يدرس العبارة وينقدها، كما يتوقف عند الصور التعبيرية أو الأساليب البلاغية، وقد أسس ذلك لوجود مقياس جديد في النقد الأدبي هو (المقياس البديعي) الذي أخذ يقيس الأدب بما يرد فيه من بديع⁽⁶⁾.

ثانياً: في القرن الرابع:

1- كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوى (ت 322 هـ)

يعد كتاب عيار الشعر حلقة متممة لما جاء به ابن قتيبة وهو مقسم إلى قسمين أساسيين، مقدمة ومتنا، فمقدمته تشبه مقدمة الشعر والشعراء فيها أشياء كثيرة عن النقد الأدبي⁽⁷⁾، وتدور حول أربعة موضوعات هي تعريف الشعر، صنعة الشعر، فنون الشعر العربي وأساليبه ثم عيار الشعر ويقصد به الوسائل التي يعرف بها جيد الشعر من ردئه. كما تكلم عن التشبيه وأدواته، ومعاني الشعر والوحدة العضوية والخلق (الإبداع) الشعري ومراحله، والسرقة الشعرية والصدق وأنواعه، وثقافة الشاعر، وحسب له كذلك اهتمامه بجماليات التلقي في الفن الشعري، " وهذه رؤية جمالية متقدمة كثيراً بالقياس إلى عصرها "⁽⁸⁾.

2- كتاب نقد الشعر لقديمة بن جعفر (ت 337 هـ):

أول كتاب يحمل هذا العنوان وترد فيه كلمة نقد صريحة، ويرى صاحبه أنه " أول كتاب يُؤلف في النقد"⁽⁹⁾، وهو ذو أثر كبير في حركة النقد العربي ونهضته.

⁵قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب و اليونان، ص338.

⁶المرجع نفسه، ص 342.

⁷ينظر: إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت، ط 2، 1978، ص 123.

⁸عيسيى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، ص 197.

⁹قديمة بن جعفر: نقد الشعر، تح عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت، د ط ، دت، ص 6.

وقد فصل قدامة بن جعفر "مذهبه في النقد الذي احتذى فيه حذو أرسطو في كتابه(الخطابة)، الذي ترجمه حنين ابن إسحاق في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري"⁽¹⁰⁾، أما أهم الأفكار النقدية الواردة في هذا الكتاب فهي **تعريف الشعر**، **أسباب الشعر** ومكوناته الرئيسية، **أوصاف الشعر**، **طبيعة الشعر**، **الغلو والبالغة** فيتناول المعاني. لقد وضع قدامة بن جعفر مذهبًا نقدياً لـنقد الشعر متاثراً بالثقافتين العربية الأصيلة والفلسفية اليونانية، فقد نهج قدامة في نقد الشعر نقداً علمياً.⁽¹¹⁾

3- الموازنة بين الطائين للأمدي (ت 371 هـ):

عنوان الكتاب هو: (الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وابن عبادة الوليد بن عبيد البحري في شعرهما) عُدّ كتاب الموازنة وثبة في تاريخ النقد العربي، فكان موازنة مدرسة مؤيدة بالتفصيلات التي تلم بالمعاني والألفاظ والموضوعات الشعرية، لهذا جاء بحثاً في النقد واضح المنهج⁽¹²⁾، وقد انطوى هذا الكتاب على مادة نقدية ثرية، تدخل في صميم النقد التطبيقي، هذه المادة تحتوي على أركان نقدية أهمها: الكشف عن السرقات، القراءة الدقيقة، الموازنة، هذه الأخيرة تتقسم إلى أربعة أقسام:

أ- محاجة بين خصوم أبي تمام وخصوم البحري.

ب- دراسة الناقد لسرقات كل شاعر منها.

ج-نقده لأخطاء ومعایب كل منهما ثم لمحاسنه.

د- موازنة تفصيلية بين المعاني المختلفة التي تكلما عنها.⁽¹³⁾

والحقيقة أنها تبقى موازنة منهجية من ناحية المفاضلة ومن ناحية استبطاط الخصائص.

4- الوساطة بين المتنبي وخصوصة القاضي الجرجاني (ت 392 هـ):

يعد كتاب الوساطة مثلاً للنقد الأدبي المنهجي، فقد قسمه صاحبه إلى ثلاثة أقسام:

¹⁰ حميد آدم ثويني: منهج النقد عند العرب، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004، ص 182.

¹¹ المرجع السابق، ص 184.

¹² ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 157.

¹³ ينظر: محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة 1996 ، ص 348.

القسم الأول: مقدمة يوضح فيها المؤلف منهجه العام في النقد تمهيداً للدفاع عن المتبني أما القسم الثاني فلا نرى فيه وساطة بين المتبني وخصومه بل دفاعاً عن الشاعر، ومنهج الناقد المدافع أنه إذا كان المتبني قد أخطأ أو أحال أو سرق فقد فعل ذلك غيره. ويأتي الفصل الثالث والذي يمكن تسميته بالوساطة وذلك لأن الناقد تناول فيه ما أُعيب على أبي الطيب في شعره، وما أخذه عليه العلماء من مأخذ، يناقشه ويحلله ويفصل القول فيه.⁽¹⁴⁾

وقد عالج الكتاب مجموعة من القضايا النقدية كالقديم والحديث، والطبع والصنعة، والسرقات وعمود الشعر.

ثالثاً: في القرن الخامس الهجري:

1- كتاب العمدة لابن رشيق (ت 456 هـ)

هذا الكتاب واسع الشهرة في مجال النقد الأدبي، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته، وقد ألفه صاحبه "في جزأين وفي كل جزء عدة أبحاث قصيرة أطلق عليها أبواباً بلغت في جملتها مائة وستة أبواب، منها أربعة وأربعون في الجزء الأول واثنان وستون في الجزء الثاني يجمع بينهما خط واحد هو الحديث عن الشعر".⁽¹⁵⁾

ومنهجه في الكتاب يقوم على الاجتهاد والنقل، إذ أخذ عن النقاد السابقين ولكنه اجتهد في هذا النقل وأبدى رأيه فيه. "وتدور موضوعات الكتاب بصورة أساسية عن الشعر فتبين فضله، وتتحدث عن طبيعته وصياغته وأوزانه وقوافيها، وألفاظه، ومعانيه"⁽¹⁶⁾. وغيرها. كما يمكن إدراج كتاب العمدة ضمن النقد النظري والتطبيقي، إذ نوه إلى عدة قضايا نقدية كمفهوم الشعر، والمطبوع والمصنوع، والقديم والحديث. والسرقات الشعرية واللفظ والمعنى. وهو من الكتب التي تمثل النقد المغربي بامتياز وبخاصة النقد الجزائري القديم.

2- كتاب دلائل الإعجاز وكتاب وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)

لقد أرسى عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز أركان علم المعاني، حيث ينظم بحوثاً كثيرة في هذا العلم، والفكرة التي يبني عليها الكتاب تدور حول بلاغة الكلام، وأنها تكمن في

¹⁴ ينظر: المرجع نفسه: ص 276-277.

¹⁵ أحمد سيد محمد: المصدر الأدبي، مفهومه وأنواع دراسته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 2، 1986، ص 106.

¹⁶ عبد اللطيف صوفي: مصادر الأدب في المكتبة العربية، ص 235.

النظم، كما أوضح أن اللغة ليست مجموعة الفاظ وإنما مجموعة من العلاقات، " وهذا أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوربا"⁽¹⁷⁾.

أما كتاب أسرار البلاغة، فيضم مجموعة دراسات تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة، وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع. " ويحكم عبد القاهر في الدلائل والأسرار على كثير من الأدباء والشعراء أحکاما صادقة تدل على عدالة نقه، ويستدل بالكثير من أشعار المحدثين، ويعقد في الكثير بينها موازنات تدل على وقوفه على دقائق البيان"⁽¹⁸⁾.

كتاب منهاج البلاغة وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ت(684 هـ)

هذا الكتاب يمزج بين البلاغة والنقد، وقد حققه التونسي محمد الحبيب بن الخوجة، وهو في أربعة أقسام ضاع الأول منها تماما، ولكن الأقسام المتبقية تظم أفكارا نقدية لامعة ويترأى فيها حازم ناقداً المعينا قليلاً النظير.⁽¹⁹⁾

القسم الثاني يتناول المعاني الشعرية والقسم الثالث يتناول النظم والقوانين البلاغية، أما القسم الرابع فموضوعه الطرق الشعرية والمنهاج، يتتوفر على مادة نقدية وبلاغية غزيرة قلما تعثر عليها في كتاب نceği أو بلاغي آخر⁽²⁰⁾، والأفكار النقدية الموجودة في الكتاب يمكن ذكرها فيما يلي: المعاني الشعرية، غمضها، تخيل الأغراض بالأوزان التخييل والمحاكاة.

يرى الباحث إحسان عباس أن منهاج البلاغة هو آخر صلة بين كتاب أرسسطو(فن الشعر) والنقد العربي.

وفي الأخير هذه ببليوغرافيا لمجموعة من المصنفات النقدية في المشرق والمغرب والأندلس إلا أن هناك بعض المصنفات. لم نذكرها لتفادي الإطالة وحباً لل اختصار، ولا بأس أن نذكرها فقط دون تفصيل.

¹⁷ محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص 334.

¹⁸ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تتح عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت، ط1، 2004، ص 07.

¹⁹ ينظر: عيسى علي العاكوب: التفكير النقي في عند العرب، ص 316.

²⁰ ينظر: عيسى علي العاكوب، التفكير النقي عند العرب، ص 316.

فهناك فحولة الشعاء للأصمعي (ت210هـ)، والكامل في اللغة والأدب للمرد (ت285هـ)، وأخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي (ت335هـ)، وحلية المحاضرة للحاتمي (ت388هـ)، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت395هـ)، وكتاب شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ت421هـ)، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (ت466هـ)، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (ت637هـ) هذا في المشرق.

أما في المغرب فهناك كتاب الممتع في علم الشعر وعمله لعبد الكريم النهشلي (ت403هـ)، وكتاب أعلام الكلام أو رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني (ت460هـ)، والمقدمة لابن خلدون (ت808هـ)، أما في الأندلس وجدنا من الكتب التي تحمل آراء نقدية مثل العقد الفريد لابن عبد ربه (ت328هـ)، ورسائل ابن حزم (ت456هـ)، التوابع والزوايا لابن شهيد (ت426هـ).